كتاب المنتَهِي

للشيخ حمزة الفنصوري

نُقِلَ إلى اللغة العربية على يد أبي فخر الرازي بن محمد يوسف بن إلياس بن عثمان (أبي ميدان).

المنتهي

الشيخ حمزة الفنصوري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على رسوله محمّد وعلى آله أجمعين.

(1) اعلم ـ أيّها الطالب ـ أنّ رسول الله ﷺ قال:

«مَنْ نَظَرَ إلى شيءٍ ولم يَرَ اللّهَ فيه فهو باطل».

أي: من تأمّل في شيء ولم يشهد فيه حضور الله تعالى فذلك النظر لغوٌ وسُدى.

وقال عليّ رضي الله عنه:

«ما رأيتُ شيئًا إلاّ ورأيتُ اللّهَ فيه».

أي: لم تقع عيني على شيء إلا شهدتُ أثر الله فيه.

وقال النبي ﷺ:

«مَنْ عَرَفَ نفسَه فقد عَرَفَ ربَّه».

أي: من عرف حقيقة نفسه عرف ربَّه.

---

(2) ومعنى معرفة الربّ ومعرفة النفس أنّ حقيقة العبد هي «كُنتُ كنزًا مخفيًّا»؛ والوجود كلّه إنّما هو في علم الله تعالى.

ومثاله: الحبّة والشجرة؛ فالشجرة موجودة في الحبّة، وإن لم تُرَ بالعيان، لكن حكمها كامِن فيها.

وقال الشيخ الجنيد رضي الله عنه:

«كان اللهُ ولم يكن معه شيء، وهو الآن على ما عليه

كان».

أي: وُجد الله أزلاً، ولم يكن معه غيرُه، وهو الآن كما كان سبحانه.

ولهذا قال عليّ رضي الله عنه:

«ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله فيه».

---

(3) ولكن إيّاك أن تفهم هذا الفهم على وجه التمثيل الفاسد، كقولك: الماء في الثوب المبتلّ؛ فهذا غير صحيح، لأنّ الماء غير الثوب. وتنـزّه الله سبحانه عن مثل هذا التمثيل.

وإنما الصواب أن يُمثَّل بالبحر وأمواجه؛ كما قال الشاعر:

فالبحرُ بحرٌ على ما كان في قِدَمٍ
إنّ الحوادثَ أمواجٌ وأنهارُ

لا يحجبنّك أشكالٌ تُشاكلُها
عمّن تشكّلَ فيها فهي أستارُ

أي: البحر بحرٌ في أزله القديم، والحوادث أمواجه وأنهاره. فلا يصدّنك تشابه الصور عن إدراك الحقّ، فإنّ الصور إنما هي حُجُبٌ وستائر عنه.

فالأمواج قائمة بالبحر الأزلي، لا تنفصل عنه.

وكما قال المِصرَع الفارسي:

«الدَّرْيا قَديم، فإذا اضطربَ ظهرَ الموجُ، فيُسمّونه موجًا، وهو في الحقيقة البحرُ عينُه».

أي: البحر قديم، فإذا تموّج سُمِّيَ موجًا محدثًا، غير أنّه في الحقيقة عين البحر، لا اثنان.

وكما قال الله تعالى:

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ [فصّلت: 54].

وقال رسول الله ﷺ:

«أنا من الله، والعالَمُ منّي».

أي: أنا من فيض الله، والعالم من فيضي.

ومثاله: الشمس بنورها وحرارتها، أسماؤها ثلاثة، وحقيقتها واحدة.
وكما أشار رسول الله ﷺ:

«مَنْ عَرَفَ نفسَه فقد عرف ربَّه».

أي: من أدرك سرّ نفسه عرف ربَّه.

---

(4) وأمّا حقيقة النفس، فإنّها وإن حَصَلت لها صورة واسم، فليس لذلك حقيقة قائمة. ومثالها: الظلّ في المرآة؛ له صورة واسم، لكن لا حقيقة له.

وكما قال النبي ﷺ:

«المؤمن مرآة المؤمن».

أي: إنّ اسم الله «المؤمن»، وعبده الخاص يُسمّى مؤمنًا؛ فإذا كان كذلك فقد شاكَلَ العبدُ ربَّه، إذ لا انفصال للعبد عن ربّه، ولا انفصال للربّ عن عبده.

---

(5) وكما قال الله تعالى:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: 4].

أي: إنّه سبحانه معكم في كل موطن، حاضر لا يغيب، قائم لا يزول.

وقال الله تعالى:

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا

هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [المجادلة: 7].

أي: ما اجتمع ثلاثة إلا كان الله رابعهم، ولا خمسة إلا كان سادسهم، ولا أقلّ من ذلك ولا أكثر إلا وهو معهم بعلمه وإحاطته.

وقال تعالى:

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: 16].

أي: نحن أقرب إلى العبد من عِرق عنقه الذي تقوم به حياتُه.

---

(6) فاسمع ـ أيّها الطالب ـ: إنّ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ ليس بمعنى أنّه في داخل أو في خارج، ولا في فوق أو في تحت، ولا في يمين أو في شمال، بل هو منزّه عن الجهات الستّ كلّها.

وكما قال الله تعالى:

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: 3].

أي: هو الأوّل بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء، والظاهر بلا إدراك، والباطن بلا خفاء.

ومثاله ـ للتقريب لا للحصر ـ كالشجرة الواحدة، تُسمّى ليمونًا مثلاً: أوراقها غير أغصانها، وأزهارها غير ثمارها، وجذورها غير ساقها، وألوانها مختلفة، وأسماؤها متعدّدة، غير أنّ حقيقتها واحدة، هي الليمون نفسه.

فكذلك الأسماء والصفات والآثار، كلّها متنوّعة في الظهور، متّحدة في الحقيقة، راجعة إلى الواحد الأحد.

ولهذا يجب على العارف أن يعرف الله تعالى على ما أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله:

«مَنْ عَرَفَ نفسَه فقد عَرَفَ ربَّه».

كما تقدّم بيانه.

(7) اعلم أنّ كلام رسول الله ﷺ كلّه إشارات، وإن تباينت الصور في الشريعة، فإنّ الحقيقة واحدة. وكما قال الشاعر في اللَّمعات:

ياري دارم كِه جِسم و جان صورتِ اوستُ
چه جسم و چه جان جُملةِ جِهان صورتِ اوستُ
هر صورتِ خوب و معنىِ پاكيزه
كِه اندر نظر من آيد آن صورتِ اوستُ

ومعناه:
إنّ محبوبي هو صورة الجسد والروح معًا، بل ما الجسد وما الروح؟ إنّ العالم كلَّه صورته. وكلّ صورة جميلة، وكلّ معنى طاهر، فذلك أيضًا صورته. فما يقع في بصري إنما هو هو.

وكما قال الله تعالى:

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: 115].

أي: إلى أيّ وجه تتوجّهوا، فثمّ ذات الله.

ومثاله: اللّبن والسمن؛ اسمان متغايران، وحقيقتهما واحدة. فإذا خُضَّ اللبنُ فَنِيَ وبرز السمن باقيًا وحده.

---

(8) وليس في الحقيقة تبدّل ولا انتقال، كما قال النبي ﷺ:

«مَن عرَف نفسه بالفناء فقد عرف ربَّه بالبقاء».

أي: من عرف أنّ ذاته فانية أدرك أنّ ربَّه باقٍ سرمدًا، وأنّه معه أبدًا.

ومثاله: الروح مع الجسد؛ فهو محيط بالجسد، غير أنّه لا

في داخله ولا في خارجه. فكذلك الربّ سبحانه: ليس في العالَم، ولا خارجًا عن العالم، بل منزَّه عن الظرفية والحيّز.

ومثاله أيضًا: الجوهرة في الخاتم مع شعاعها؛ فالنور ليس في داخلها ولا في خارجها، بل ظاهر بها.

---

(9) ومن هنا قال عليّ رضي الله عنه:

«ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله فيه».

أي: لم أنظر إلى شيء إلا وكان الله مشهودًا فيه.

وقال الحسين بن منصور الحلاّج من شدّة الوجد والهيام:

«أنا الحقّ»،

أي: أنا الفاني في الحقّ، لم يبقَ لي وجود سوى وجوده.

وكذلك قال أبو يزيد البِسطامي:

«سُبحاني! ما أعظم شأني!»،

أي: تنزّهتُ عن أوصاف البشرية إذ غبتُ عن نفسي وبقيتُ باللّه.

وقال الشيخ الجنيد البغدادي رضي اللّه عنه:

«ليس في جُبّتي سوى اللّه»،

أي: ما في هذا الجسد المحسوس إلا اللّه، إذ فنيت أوصافي في أوصافه.

وقال السيّد نَسِيمي:

«إنّي أنا اللّه».

أي: لم يبقَ منّي شيء، إنما ظهرتْ حقيقةُ اللّه فيَّ، فتكلم لساني بلسانه.

وقال المسعودي بالفارسية:

«آنچه همان ذات بود باز همان ذات شد»

أي: الذات القديمة هي ذاتي الآن؛ إذ فنائي باقٍ ببقائها.

وقال مولانا الرومي:

العالَم لم يكن، وكنتُ أنا.
العدم لم يكن، وكنتُ أنا.
ما من شيء وكنتُ أنا،
شوقي كلّه إلى قدَمي الأزلية.

وقال سلطان العاشقين، الشيخ علي أبو الوفاء قدّس سرّه:

كُلُّ الوجود وُجودُهُ
فلا تُشرِكَنَّ به عملاً
فإذا نظرتَ لهُ بهِ
فاسجُدْ هناكَ فلا جُناح

أي: كلّ ما تراه وجوده، فلا تُشرك به شيئًا من الأعمال.
فإذا شهدته به لا بنفسك، فاسجد له، ولا إثم عليك.

وقال في كِتاب گلشن:

يا معشر المسلمين، لو علمتم حقيقة الأصنام،
لَعَرَفْتُم أنّ السلوك في عبادتها
إنما هو اشتباهٌ في الطريق.

فإذا كان الكافر مضلَّلاً بتمسّكه بتمثاله،
فكيف بمن جعل التمثال في دينه سبيلاً إلى الشرك؟

---

(10) ولهذا قال الشيخ عَيْن القُضَاة الهمداني ـ قدّس الله سرّه ـ لما نظر إلى كلب:

«هذا ربّي».

أي: لم يشهد الكلب، وإنما شهد ربَّه فيه، إذ لم يبقَ في نظره إلا الله، وغابت الصورة عن عينه كما يغيب المرآة عند من ينظر إلى وجهه فيها؛ فالمرئيّ إنما هو الوجه، وأمّا المرآة فغائبة عن إدراكه.

وكذلك هذا العالم بأسره، صورته موجودة، لكن حقيقته عدم، وهو كالخيال. أمّا نسبته إلى الحقّ فثابتة، وأمّا نسبته إلينا فمحجوبة بالوهم.

ولهذا قال رسول الله ﷺ إشارةً:

«مَنْ عَرَف نفسَه فقد عرف ربَّه».

أي: إنما هو إشارة إلى أنّ العارف في الحقيقة لا هو عَرَف، ولا هو المعرُوف؛ بل المعرفة والعارف والمعروف كلّها بالله وله.

) قال رسول الله ﷺ:

«مَن عَرَفَ اللهَ طالَ لِسانُه».

أي: مَن عرَف اللّٰه حقّ المعرفة جرى لسانه بالذكر والدعاء.
وهذا في أوائل الطريق، حين يبدأ العارف بمعرفة نفسه (مَنْ عَرَفَ نفسَه).
فإذا بلغ الغاية، وهي فقد عَرَفَ ربَّه، سكت لسانه وانقطع كلامه، إذ لم يبقَ إلا اللّٰه.

ولهذا قال النبي ﷺ:

«مَن عَرَفَ اللّٰهَ كَلَّ لِسانُه».

أي: من شهده حقًّا، عجز لسانه عن العبارة، وانطفأ النطق؛ إذ المقام مقام حضور لا مقام قول.

---

(12) وقال الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي قدّس اللّٰه سرّه، وهو أيضًا إشارة إلى الحديث:

«مَن عَرَفَ نفسَه فقد عَرَفَ ربَّه»،

حيث أنشد:

> الحقّ عينُ الخلق إن كنتَ ذا عينٍ،
والخلقُ عينُ الحقّ إن كنتَ ذا عقلِ.
فإن كنتَ ذا عينٍ وعقلٍ فما ترى؟
فما هو إلا شيءٌ واحدٌ تجلّى بصورٍ شتّى.

أي: إن كنت صاحب بصيرة، رأيت أنّ الخلق ليس إلا تجلّي الحق.
وإن كنت صاحب عقلٍ، فهمت أن الحقّ ظاهر في كلّ الخلق.
فإذا جمعت العين والعقل، علمت أن الأمر واحد، ليس في الوجود إلا هو، وما الكثرة إلا مظاهر وصور.

كما قال الله تعالى:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾.

أي: هو معكم في كلّ حالٍ ومكانٍ بلا انفصال.

وقال الشيخ الأكبر أيضًا:

> كُنّا حروفًا عَليّةً لم تُنقَل،
مُعلَّقةً في ذُرى أَعْلى القُلَل.
أنا أنتَ فيه، ونحن أنتَ وهو أنتَ،
فالكلّ هو هو، فاسألْ مَن وصل.

أي: كنا في العلم الأزليّ كالحروف الثابتة التي لم تُكتب بعد، متعلّقة بسلطان الحضرة العليا.
أنا أنتَ، وأنت أنا، ونحن هو، وهو نحن؛ فالكلّ واحد.
فاسأل العارف الذي وصل، فهو يخبرك أن الأمر كلّه تجلٍّ واحد لا ثاني له.

(13)
يا طالب الحق!
اعلم أن معرفة قوله ﷺ: «مَن عَرَفَ نفسَه فقد عَرَفَ ربَّه» ليست بمعرفة القلب والريئة، ولا اليدين ولا الرجلين.

وإنما معناها: أن وجودك قائم بوجود ربك، لا استقلال لك بذاتٍ ولا قيامٍ بنفسك؛ إنما هو وجود واحد لا يتعدد.

كما قال سيد الطائفة الجنيد البغدادي رضي الله عنه:

«لَونُ الماء لَونُ إنائه».

أي: ظهورك بحسب ما تُظهِر الأسماء والصفات، وأنت في الحقيقة لا لون لك.

وقال صاحب اللَّمَعات:

> لقد بَطَنتَ فلم تَظهر لذي بَصَرٍ
فكيف يُدرك مَن بالعَينِ مُستَتِرُ؟

أي: إنما استترت الذات الأحدية عن الأبصار بظهورها في صور الأشياء، فلا تُدرَك الأبصار له حقيقة، إذ الحُجب نفس تجلّياته.

وقال الشيخ الأكبر ابن عربي قدس الله سره:

> إن رُحتُ أطلبه لم يَنقَضِ سفَري،
وإن جئتُ حَضرته وَحُشتُ في حَضري.
لا أراهُ بعيني، وما يَغيبُ عن بَصري،
هو في ضَميري وما لَقيتُه في عُمُري.

أي: إذا قصدتُه بالطلب لم أنتهِ من سَفري، وإن شهدت حضرته بقيت غريبًا فيها.
لا أراه بعين الحس، ومع ذلك لا يغيب عن بَصري.
هو في سرّي وضميري، ولم أصل إليه في عمري.

ولهذا قال الجنيد أيضًا:

«وُجودُكَ ذَنبٌ لا يُقاس به ذَنب».

أي: مجرد توهّمك لنفسك وجودًا مستقلًّا ذنب أعظم من كل الذنوب؛ لأنه حجابك عن الحق.

---

(14)
فإيّاك أن تظن أن وجودك وجود، ووجود الحق وجود آخر، فيكون بينكما شركة.
بل «وحده لا شريك له» معناها: لا وجود لغيره أصلاً، وجودك ظِلٌّ من وجوده، وكالأمواج في البحر، لا وجود لها إلا بالبحر.

قال الله تعالى:

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾.

أي: أيّ وجهة تولّيتَ، فما هناك إلا وجه الله.

وقال مولانا عبد الرحمن الجامي رضي الله عنه:

> هو السّواء، وهو المجلس، وهو الطريق، وهو الكلّ.
في حضيض الفقير أو في عرش الملك هو هو.
في مَجلِس الفَرق والخَفاء، وفي مَجلِس الجَمع والبَقاء، هو هو.
بالله هو الكلّ، ثم بالله هو الكلّ.

(15) التمثيل الأول: البذرة والشجرة
مثل البذرة التي تحتوي في باطنها شجرة كاملة.
حين تنمو البذرة تختفي صورتها، وتظهر الشجرة بأغصانها وألوانها وثمارها المختلفة.
لكن الأصل بذرة واحدة.

وهكذا الخلق: اختلاف الصور والألوان والطبائع، كلها في حقيقتها من وجود واحد.

قال تعالى:
﴿يُسقى بماءٍ واحدٍ ونفضِّل بعضَها على بعضٍ في الأُكُل﴾

أي: كلها تسقى من ماء واحد (الحق تعالى)، لكن الثمار تختلف في الطعم: هذا حامض (كالليمون)، وهذا حلو (كقصب السكر)، وهذا مُرّ.
والحقيقة: الماء واحد، لكن المظاهر متنوّعة.

التمثيل الثاني: الشمس والحرارة
حرارة الشمس تصل إلى الورد وإلى العود الطيّب، فتُعطي كل واحد رائحته الخاصة.
وتصل أيضًا إلى النجاسة، فلا تتنجّس بحرارتها.
الحقيقة: الحرارة واحدة، لكن القابليات مختلفة.

فالشكّ في هذا سراب؛ إذ الشكّ هو الحجاب.

---

(16) الأسماء والصفات
الحق تعالى ظاهر في مظاهر الجلال (القهّار، المنتقم) كما هو ظاهر في مظاهر الجمال (اللطيف، الرحيم).
وكلها كمال أسمائه، لا افتراق بينها.

حتى الشرك، في نظر أهل التوحيد الخاص، مظهر من مظاهر تجليه (إذ لولاه ما وُجد ولا نُسب).

كما قال الشيخ نعمة الله قدّس الله سره:

[120] رَأَيْتُ اللّٰهَ في عيني بعينه، وبعينه عينِي، فانظُرْ بعينه يا حبيبي عند ما سوى عينيّ، وعندي عينُه من حيث عينِي.

أي: رأيت الله في حالتي بواسطة بصره؛ وبدايةً: حالتي هي حاله، فأنظر إليه بنظرة منه. يا حبيبي، كل ما سوى حالي مختلف عني،
وبدايةً: عندي وجوده كوجودي واحد.

وهذه هي صفة "من عرف نفسه فقد عرف ربه" كذلك من البدايات الأولى.

(17) البداية. قال الله تعالى:

وَاللّٰهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ

أي: أن الله تعالى خلقكم وخلق أعمالكم أيضًا.

وقال تعالى أيضًا:

مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

أي: لا أحد يستطيع أن يحرّك شيئًا إلا بإرادة الله، فربّي على الصراط المستقيم في حقيقة الأمر.

وقال النبي ﷺ:

لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

أي:

لا يحيط ولا توجد قوة لأحدٍ إلاّ بقدرة الله العليّ العظيم.

وقال النبي ﷺ: "لا تتحرّك ذَرّةٌ إلاّ بإذن الله".
أي: لا تتحرّك ذرّةٌ واحدة إلاّ بحركة الله تعالى.

وقال النبي ﷺ: "خيرُه وشرُه من الله تعالى".
أي: خيرُه وشرُه من الله تعالى.

كما قال الله تعالى:
"وما تشاءون إلاّ أن يشاء الله".
أي: ولا أحدٌ منكم يملك الإرادة إلا بإرادة الله تعالى.

فإنّ جميع هذه الأدلة والأحاديث تشير إلى قوله: "من عرف نفسه فقد عرف ربه"، لا غير.

وقال الشيخ محيي الدين ابن العربي قدّس الله سرّه:

"حرامٌ على المحبّين أن يشهدوا سواه، إذا كان وجه الحقّ بالنور مشعًّا. فما أقوله وأنت وحدك لم يكن أحدٌ سواك، فما سواه فهو كالهباء."

أي:
قد حُرِم على جميع العاشقين أن يلتفتوا إلى غيره، إذا ظهر الله تعالى في إشراق نوره البهيّ.
فكلّ ما أقوله من أنَّك وحدك لا شريك لك، فكل ما عداه فهو كالهباء.

مثل قول الله تعالى:

كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ

أي: في كل يوم هو قائم بأمره، لا يغيب عن تدبيره شيء.

(19) أي: في ذاته تجليات متعددة، ولكن الذات لا تتعدد ولا تتغير، لأنه:

هُوَ الْأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ

أي: الأول لا يُدرَك، والآخر لا يُنتهي، والظاهر يشمل الباطن، والباطن لا يُستقصى؛ يرى ذاته بذاته، ويشهد ذاته بصفاته وأفعاله وآثاره. ومع أن أسمائه الأربعية فهي في الحقيقة واحدة. كما قال الشيخ محيي الدين:

تَجَلَّى بِذَاتِهِ فِي ذَاتِهِ

أي: ظهر الوجود لذاته.

وقال الإمام الغزالي رحمه الله:

إنَّ العالمَ منهُ وبهِ، ولكنهُ لا يُستغنى عنه

أي: العالم منه وبواسطته، ولكنه لا يفارق حقيقته أبدًا.

وقال يازيد:

وُجودُنَا مِنْهُ وَقُوَّتُنَا بِهِ، لا فَرْقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَبِّي إِلَّا بِهَذَا الْمَرْتَبَتَيْنِ

أي: وجودنا منه، وقوتنا به، فلا فرق بيني وبين ربي إلا بمستويين (الوجود والقدرة).

وهذا هو معنى قولهم:

مَنْ أَرَى نَفْسَهُ فَقَدْ عرفكما قال مولانا عبد الرحمن جامي رحمه الله:

بَسْ بِرَنْجِسْتْ يَارِي دِيْخْوَهْ آي دِلْدَرِيَدَا

قَانِي نَشَاوِي بَرَنْجِي نَا غَهْ آي دِلْ
أَصْلٌ إِنْ هَمَهْ رَنْغَهَا أَزَانْ بِيْرَنْجِسْتْ
مَنْ أَحْسَنُ سِبْغَةً مِنَ اللّٰهِ آي دِلْ

أي:

إلى الحبيب الذي لا لون له، تاقت إليه يا قلب؛
فلا تطفئ شوقك إلى الألوان، يا قلب، لعلها وسيلة.
فإن كل لون يأتي من الذي لا لون له، يا قلب.
ومن أخذ لونه من الله، فهو الأفضل، يا قلب.

(21) أي: الأصل هو الذي لا لون له ولا شكل. وكل ما يُرى ويُحس، جميع المخلوقات، هي مجرد مثال. ومن عبد المخلوق فقد أشرك؛ كما لو عبد الموتى أو المني أو القلب أو الرئتين، فكلها آلهة بالحكم الشرعي. ومن عبد الأصنام فهو كافر، نعوذ بالله منها! والله أعلم.

(22) وإذا كان كذلك، لماذا يُرى مثل الأمواج والبحر أيضًا؟ كما قال الشاعر:

فَأَعْوِلْ عَلَيْهِ لا سِوَاهُ فَأَيْنَمَا تُوَلِّي فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ لَيْسَ

مُبَرَّقًا

أي: حول إدراكك إلى ما سوى الله، فإنما كلما توجّهت، هناك وجه الله غير المنظور.

(23) وقال أيضًا:

رَقَّ الزُّجَاجُ وَرَقَّ الخَمْرُ فَتَشَابَهَ وَتَشَاكَلَ الأَمْرُ فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلَا قَدَحُهُ فَهُوَ أَنَّمَا قَدَحُهُ وَلَا خَمْرُ

أي: (الزجاجة والشراب) كأنهما شيء واحد، وأعمالهما متشابكة، فلا يوجد الشراب بدون الكأس، ولا الكأس بدون الشراب.
أي: اللون والزجاجة والشراب واحد في الحقيقة؛ فاللون والشراب مجرد مثال، لا يُمكن فصلهما، كما قالت اللمعة:

العَيْنُ وَاحِدَةٌ وَالحُكْمُ مُخْتَلِفٌ وَذَلِكَ سِرٌّ لِأَهْلِ العِلْمِ يَنْكَشِفُ

أي: العين واحدة، لكن الأحكام تختلف، وهذا سر يُكشف لأهل العلم.

رَبَّهُ

(2) وأولاً، الله سبحانه وتعالى لا مكان له ولا صورة. فماذا يكون المكان إن لم يكن غيره؟ وأين المكان وأين الصورة وأين اللون؟ والحال كذلك بالنسبة للعبد: يجب ألا يكون مكانه ولا صوره، ولا مرتبطًا بالجوانب الستة، فإن صفة العبد مقتضاة صفة ربه: فإذا اكتمل الفقر، فإنه يكون الله، ويحيى بحياة الله.

إِذَا تَمَّ الْفَقْرُ فَهُوَ اللّٰهُ وَيَعِيشُهُ بِحَيَاةِ اللّٰهِ
دار الحكمة
بُونَاغَا رَايُوك، مِيُولَابُوه، آتْشِيه الغَرْبِيَّة.
٢٣ مايو ٢٠٢٦